

المحاضرة السادسة:

فلسفة موسى بن ميمون (تابع)

4- براهين وجود الله عند موسى بن ميمون:

إن البراهين التي يقدمها موسى بن ميمون على وجود الله لا يعني أنه ينكر أو يشك في وجوده ويحتاج إلى اثباته عن طريق الأدلة العقلية، وإنما اثبات وجوده، كما بيّن ذلك في مقدمة كتابه دلالة الحائرين، موجه إلى الذين تتملكهم الحيرة حينما يخضعون الحقائق الايمانية للتفكير العقلي المنطقي. في كتابه دلالة الحائرين ينطلق موسى بن ميمون أولاً من الحديث عن صفات الله وحدانيته ونفي الجسمانية عنه، ثم ينتقل بعد ذلك إلى اثبات وجوده. سنحاول أن نعرض أولاً براهينه على وجود الله ثم ننتقل إلى الحديث عن صفاته.

في عملية اثبات وجود الله انطلق موسى ابن ميمون من التراث الفكري السائد في زمانه حيث رأى أن هناك فريقين ممن تطرقوا إلى البرهنة على وجود الله: المتكلمين والفلاسفة، فأما المتكلمون فقد افترضوا أن طريق البرهنة على وجود الله يكون من خلال اثبات أن العالم محدث أي مخلوق، والمحدث يستوجب محدث وخالق له. وقد عرض موسى ابن ميمون البراهين السبعة التي استدلت بها المتكلمون على حدوث العالم، ثم انتقد طريق المتكلمين في البرهنة على وجود العالم حيث رأى أنهم في عملية البرهنة على حدوث العالم ينطلقون من الوجود ذاته وما يكشف عليه وإنما ينطلقون من تخميناتهم العقلية، أي لا ينطلقون من الواقع كما يتحلى للحواس وإنما من المفاهيم الجاهزة حول العالم، وفي حالتهم هذه من الفكرة الجاهزة التي تعتبر أن الله هو خالق كل شيء ومن بين الاشياء المخلوقة العالم ذاته، لأن اعتقادهم الديني يتماشى مع هذا الطرح، وعندما يؤكدون على حدوث العالم يستنتجون أن العالم المحدث يحتاج إلى صانع أي خالق له، ثم يستدلون أن هذا الخالق هو الله وأنه واحد ومنز عن التجسيم.

لم ترق لموسى بن ميمون طريقة المتكلمين في البرهنة على وجود الله واعتبر أنها قائمة على المغالطة ولا تصمد أمام الشكوك العقلية، وفي هذا الشأن صرح قائلاً: " فلما تأملت هذه الطريقة نفرت نفسي منها نفورا عظيما جدا، وحق لها أن تنفر. لأن كل ما يزعم أنه برهان على حدث العالم تلحقه الشكوك وليس ذلك برهاناً قطعياً إلا عند من لا يعلم الفرق بين البرهان وبين الجدل، وبين المغالطة. أما عند من يعلم هذه الصنائع فالأميرين واضح، أن تلك الأدلة كلها فيها شكوك واستعملت فيها مقدمات، لم تبرهن".

أما الطريق الثاني على برهنة وجود الله فهو طريق الفلاسفة الذي يقوم على المنهج البرهاني. إذا كان المتكلمون ينطلقون من فكرة حدوث العالم فان الفلاسفة يؤكدون على تحافت الاستدلال الذي يؤكد على حدوثه فافترضوا أن العالم أزلي، ومن هذه الفرضية حاولوا اثبات وجود الله. ويعرف موسى ابن ميمون أن هذه الفكرة لها تبعاتها الخطيرة على الايمان وتعارضها مع ما تؤكد التوراة إلا أنه يؤكد أن طريق الفلاسفة هو الطريق الضامن والصحيح على اثبات وجود الله ووحداية وروحانيته، وفي ذلك يقول: "... الطريق الصحيح عندي وهو الطريق البرهاني الذي لا ريب فيه أن يثبت وجود الاله و وحدانيته ونفي جسمانيته بطرق الفلاسفة التي تلك الطرق مبنية على قدم العالم، ليس لأني أعتقد قدم العالم أو أسلم لهم ذلك، بل لأن بتلك الطريق يصح البرهان ويجعل اليقين التام بهذه الثلاثة أشياء أعني بوجود الاله وبأنه واحد وأنه غير جسم من غير التفات إلى بت الحكم في العالم هل هو قديم أم محدث"

إذن بين طريق المتكلمين وطريق الفلاسفة يفضل موسى بن ميمون أن يعتمد على طريق الفلاسفة (الطريق البرهاني) رغم تعارضه مع ما يصرح به الأنبياء، لأنه الطريق الذي يسمح ببناء برهنة متماسكة حول ثلاثة قضايا متعلقة بالله وهي: أنه موجود، وأنه واحد، وأنه منزه عن التجسيم، أفضل من اعتماد برهنة المتكلمين التي يسهل، في اعتقاده، هزها وهدمها.

لما فرغ بن ميمون من هذه المسألة انقلب إلى ذكر مجموعة من الأدلة الفلسفية على وجود الله وهي خمسة وعشرون دليلا. ولا يسع المقام هنا إلى ذكرها كلها ولكن نشير إلى بعضها.

المقدمة الأولى: وجود عظم ما، لا نهاية له محال.

المقدمة الثانية: وجود أجسام لا نهاية لها لعدتها محال، وهو أن تكون موجودة معا. (الاولى تقوم على اثبات تناهي الأجسام في المقدار، والثانية تأكيد على تناهي الأجسام في العدد وهما دليلا يكملان بعضها البعض، وفساد أحدها يعني فساد الآخر بالضرورة).

المقدمة الثالثة: هب أن وجود علل ومعلولات لا نهاية لعدتها محال، ولو لم تكن ذوات عظم مثل أن يكون هذا العقل سببه عقل ثان وسبب الثاني ثالث، وسبب الثالث رابع، وهكذا إلى غير نهاية، وهذا أيضا بين الاستحالة.

المقدمة الخامسة: هي أن كل حركة وتغير وخروج من القوة إلى الفعل.

المقدمة الثامنة عشر: أن كل ما يخرج من القوة إلى الفعل، فمخرجه غيره، وهو شيء خارج عنه ضرورة؛ لأنه لو كان المخرج فيه ولم يكن تمة مانع لما وجد بالقوة وقتا ما، بل كان يكون بالفعل دائما، فإن كان مخرجه فيه وكان له مانع فارتفع، فلا شك أن مزيل المانع هو الذي أخرج تلك القوة إلى الفعل، فافهم هذا.

المقدمة العشرون: أن كل مركب من معينين، فإن ذلك التركيب هو سبب وجوده على ما هو عليه ضرورة، فليس هو واجب الوجود لذاته، لأن وجوده بوجود جزئية وبتكبيهما.

المقدمة الخامسة والعشرون: أن مبادئ الجوهر المركب المشخصي المادة و الصورة، و لا بد من فاعل، أعني: محركا حرك الموضوع، حتى هياه لقبول الصورة، و هو المحرك القريب المهيبى لمادة شخص ما، فلزم من هنا النظر في الحركة و المحرك و المتحرك، و قد بين في كل ذلك ما يلزم تبينه، و نص كلام أرسطو على أن المادة لا تحرك ذاتها، و هذه هي المقدمة العظيمة الداعية للبحث عن وجود المحرك الأول، و الله أعلم.)

5- في معرفة طبيعة الله:

إذا كانت التوراة تتحدث عن الله وتصفه بطريقة مادية وتنسب إليه الأفعال والانفعالات، إلا أن موسى ابن ميمون ينفي بشكل مطلق الجسمانية عن الله وكذلك الانفعال والتشبيه. وأن ما تقوله التوراة حول الله من صفات جسمانية وانفعالات لا ينبغي فهمه على ظاهره بل ينبغي تأويله بالطريقة التي تنزهه عن الجسمانية والتشبيه والانفعال. يؤكد موسى ابن ميمون أن الله لا يمكن معرفته وادراك حقيقته في ذاته مهما بلغ الإنسان من العلم والمعرفة، وكل المعرفة التي يشكلها الإنسان عن الله لا تكون إلا بالسلب ومن يصفه بالإيجاب فهو شرك، لأن المعرفة بالسلب هي معرفة تقريبية تدرك حدودها في حين المعرفة بالإيجاب تدعي الحقيقة ومعرفة الماهية، حيث يقول: "اعلم أن وصف الله عزل وجل بالسوالب، هو الوصف الصحيح الذي لا يلحقه شيء من التسامح. ولا فيه نقص في حق الله جملة ولا على حال. أما وصفه بالإيجاب ففيه من الشرك والنقص ما قد بيناه".

6- رأي موسى بن ميمون في مسألة حدوث العالم وقدمه:

في كتابه دلالة الحائرين يعرض موسى بن ميمون المواقف التي تناولت مسألة حدوث العالم وقدمه ويقسمها إلى ثلاثة آراء:

- **الرأي الأول:** العالم مخلوق: وهو رأي مستمد من التوراة. وهذا الموقف يعتبر أن كل ما هو موجود في الكون مخلوق وقد خلق الله من العدم بإرادته ومشئته، وأن الزمان هو أيضا مخلوق.
- **الرأي الثاني:** بيني هذا الموقف رأيه من فكرة أنه لا شيء يأتي من العدم، ولا شيء يصير إلى العدم ولهذا يعتقد هذا الرأي أن هناك مادة قديمة قدم الله، ولكن الله هو الذي أوجدها. وعلاقة الله مع هذه المادة كعلاقة

النجار بالخشب فلما كان النجار بحاجة إلى الخشب لصنع الطاولة فإن المادة القديمة تلعب مع الله نفس الدور الذي يلعبه الخشب مع النجار. ومن ممثلي هذا الرأي أفلاطون وأتباعه.

● **الرأي الثالث:** فهو رأي أرسطو أتباعه، وهذا الرأي يعتقد مثل أفلاطون أن لا شيء يأتي من العدم وأن هناك مادة قديمة نشأ منها العالم، والفرق بين الرأي الثاني والثالث هو أن الثاني يؤمن أن السماء عرضة للكون والفساد، أما الثالث فيعتبر أنه لا يعترها الكون والفساد.

بالنظر إلى هذه الآراء الثلاثة نجد أن الرأي الأول يخلف جذريا عن الرأيين الثاني والثالث، فالأول يؤمن بحدوث العالم والثاني والثالث بقدمه، الأول مستمد من الدين باعتباره حكما جاهزا، والثاني والثالث مستمد من التأمل العقلي. إذا كان الرأي الثاني والثالث يتفقان أن العالم قديم، فإن الفرق بينهما أن الرأي الأول يعود إلى أفلاطون وأتباعه، والرأي الثاني إلى أرسطو وأتباعه، فكلاهما ينطلقان من بيئة ثقافية وثنية وكلاهما يستندان إلى رؤية عقلية.

ولكن ما هو موقف ابن ميمون الصريح حول مسألة خلق العالم من قدمه؟ يجب أن نعلم أن ابن ميمون رجل دين قبل أن يكون فيلسوفا، وعاش في مرحلة زمنية، العصور الوسطى، تتميز بهيمنة الدين على العقل، وفي بيئة فكرية وسياسية كان يعيش فيها اليهود تحت هيمنة الثقافة الإسلامية. إن مسألة قدم العالم أو حدوثه تكشف عن موقف يتعارض فيه الدين والفلسفة بشكل جذري وصريح فالعالم إما محدث أو قديم. لقد صرح ابن ميمون بأنه ينتمي إلى الفريق القائل بحدوث العالم إلا أنه لم يشك في صحة رأي الفلاسفة القائل بقدمه، فمن جهة ظل متمسكا بإيمانه بحدوث العالم ومن جهة أخرى لم يرفض ويشكك في رأي الفلاسفة القائل بالقدم. يجب أن نفهم مسألة قدم أو حدوث العالم ضمن البيئة الثقافية والسياسية والاجتماعية التي طرحت فيها؛ بيئة متعصبة للدين وتعتبر التشكيك في حقائق الوحي كفر وزندقة، لهذا في اعتقادنا ليس المهم في مثل هذه المسائل معرفة موقف ابن ميمون الصريح من مسألة الخلق العالم أو حدوثه وإنما ينبغي أيضا البحث عن الوضع الثقافي والفكري والسياسي في تلك المرحلة وتأثيره على الموقف الحقيقي لموسى بن ميمون.

7- مسألة الشر في العالم وعلاقته بالعبادة الإلهية:

كيف يمكن تفسير الشر الموجود في العالم؟ ما مصدره؟ وإذا كان هذا العالم يسير وفق قوانين الله ونظامه فلماذا يحصل الشر في الوجود؟ قبل أن يعرض موسى بن ميمون موقفه حول مسألة الشر يعرض موقف المتكلمين الذي يعتبر أن الله هو الذي خلق الشر كما خلق الخير وأن الشر والخير لهما وجود موضوعي فالشر ليس سلبا للخير وإنما يمتلك

وجودا حقيقيا وتبعاً لذلك الموت ليس سلب الحياة وإنما يملك وجوداً حقيقياً، والسكون ليس سلب للحركة وإنما له وجود واقعي، والظلمة ليست سلباً للنور وإنما الله خلق الظلمة والنور. أما موسى ابن ميمون فهو ينتصر لموقف الفلاسفة الذي يعتبر أن السلب لا يوجد في ذاته وإنما هو نتيجة غياب شيء ما، والشر تبعاً لذلك هو غياب الخير، ويذهب أيضاً إلى أن الشر ليس مصدره الله وإنما هو نتاج المادة، أي أن الله لم يخلق الشر بطريقة مباشرة وإنما كل أفعاله هي خيرة، لم يخلق الله الشر بطريقة مباشرة يعني ذلك أن مصدر الشر ليس الله في حد ذاته وإنما من المادة التي خلقها الله، وبذلك فإن المادة هي مصدر الشر وليس الله.

لهذا يعتبر تمار رودافسكي أن ابن ميمون: "يفسر مشكلة الشر بوصفها مشكلة متعلقة بالوجود أكثر من كونها مشكلة لاهوتية تتعلق بحدود الرب" بمعنى أن مسألة الشر عند ابن ميمون لا ينبغي فهمها من وجهة نظر لاهوتية بحيث تربطها بخيرية الله وعدالته وعنايته ونضعها موضع مسائلة، بمعنى أن نذهب إلى القول بما أن الشر موجود فإن الله ليس مطلق الخيرية لأنه لا يمكن أن يصدر الشر عن الخير، أو نشكك في العناية الإلهية للعالم بما أن الله يقبل بالشرور والمعاناة التي يتعرض لها البشر والحيوان على السواء دون أن يتدخل لإنقاذها وإنما مسألة الشر عند موسى بن ميمون مرتبطة بطبيعة الوجود ذاته الذي يقوم على المادة لأن المادة نفسها هي مصدر الشر في الوجود أما العالم المنزه عن المادة فهو لا يعتريه الفساد ولا يعرف شيئاً اسمه الشر.

بعد أن بين موسى ابن ميمون مصدر الشر وربطه بالمادة وتنزيه الله من كل الشرور. يأتي إلى تصنيف أنواع الشرور الموجودة في العالم ويقسمها إلى ثلاثة أنواع:

- شرور متعلقة ببنية الوجود ذاته الذي يتكون من المادة التي هي مصدر الشر، وهي تلك التي تصيب الإنسان من جهة الطبيعة المعرضة للكون والفساد كفساد المياه والأطعمة، أو الزلازل والبراكين... إلخ.
- شرور تنشئ نتيجة العلاقات الاجتماعية، من خداع وكذب واعتداء، أو جراء الاضطرابات السياسية من حروب وتهجير... إلخ.
- شرور تصيب الإنسان جراء الأطعمة والافراط فيها فيصاب بالأمراض أو نتيجة الافراط في الملذات التي تؤثر على النفس.

لم يقدم موسى ابن ميمون أفكارا واضحة ومتناسقة حول السياسية، ولكن يمكن استنتاجها من كتابه دلالة الحائرين، يعتبر مثل أرسطو أن الانسان كائن سياسي لا يمكنه العيش بمعزل عن أقرانه من البشر. ولما كان الإنسان لا يستطيع العيش دون جماعة فإن هذه الجماعة تحتاج إلى قوانين ومؤسسات تنظم وتدبر شؤونها. ولما كانت طموحات الناس وسلوكاتهم مختلفة فإنه يجب أن تكون هناك قوانين مشتركة تراعي هذه الفوارق والتباينات.

أما بشأن القوانين التي تنظم المجتمع الانساني يميز موسى بين ثلاثة أنظمة: قوانين وضعية تطمح إلى تنظيم الحياة الاجتماعية تنظيمًا ماديا ولا شأن لها بالبعد العقلي والروحي للأفراد، ونظام يستمد قوانينه من الله وهذا النظام لا يهتم فقط بتنظيم الحياة الاجتماعية للأفراد وإنما أيضا يعمل على توجيه حياتهم الروحية بالطريقة التي تضمن لهم السعادة في الدار الآخرة، أما النظام الأخير فهو ذلك الذي يستند إلى القوانين التي يضعها الأنبياء فمن جهة ليست قوانين إلهية ولكن من جهة أخرى لم يضعها بشر عاديون. والفرق بين النظام القانوني الوضعي والنظام القانوني الإلهي أن الأول يستمد قوانينه من المخيلة، أما القوانين الإلهية فهي قوانين أوحى بها الله لعباده عن طريق الانبياء. ويميز بن ميمون بين شرائع موسى وشرائع باقي الأنبياء لأن موسى أعلى درجة منهم وهذا العلو يعود إلى أنه الوحيد الذي تلقى الوحي دون وساطة. غاية القوانين الإلهية هو تحقيق انسانية الإنسان على المستوى الروحي كما الجسدي، وكذا نشر السلام في الارض، وشرعية موسى بذلك لها وظيفة مزدوجة من جهة اقامة مجتمع انساني مثالي ومن جهة أخرى ضمان الخلاص والسعادة الأخروية.

ما يمكن أن نستخلصه من فلسفة موسى بن ميمون هو أنه ظهر في مناخ ثقافي مزدهر شبيه من حيث النشاط الفكري بالمناخ الفكري الذي ظهر فيه فيلون، والفرق بينهما هو في الثقافة السائدة، اليونانية والرومانية في زمن فيلون والاسلامية في زمن موسى بن ميمون. هذا المناخ الفكري الاسلامي هو الذي ساهم بشكل كبير في ظهور وانبثاق هذه الشخصية الفكرية. حيث استثمرت أفكار العديد من الفلاسفة المسلمين، ووجد في اللغة العربية الأداة التي من خلالها يعبر عن أفكاره، لغة أمدته بالعديد من المصطلحات والمفاهيم التي كانت تفتقر إليها اللغة العبرية.

كانت القضية الأولى لموسى بن ميمون هي تحقيق التوفيق بين الدين اليهودي والفلسفة اليونانية وبالخصوص في صورتها الأرسطية، وأظهرت أفكاره انفتاحا كبيرا على التفكير العقلي والمنطقي وجرأة كبيرة في عقلنة الايمان اليهودي. لم يكن موسى بن ميمون مرجعا فكريا وفلسفيا للذين جاءوا بعده وإنما أيضا بفضل كتاباته الدينية أصبح مرجعا فقهيا لليهود.

المحاضرة السادسة: فلسفة موسى بن ميمون (تابع)

في عرضنا الموجز للفلسفة اليهودية حاولنا الاقتصار، طبعاً بالقدر الذي يسمح به البرنامج والوقت الممنوح للمقياس، على أهم الإشكاليات المتعلقة بهذه الفلسفة، حيث تطرقنا أولاً إلى التعريف بهذه الفلسفة وهويتها وأهم العوامل التي أدت إلى انبثاقها وأهم المراحل التي مرت بها، وقد عرفنا بالعديد من الشخصيات الفكرية والفلسفية لكل مرحلة وركزنا في المرحلة اليونانية على فلسفة فيلون الإسكندري، وفي المرحلة الإسلامية على فلسفة موسى بن ميمون، وهذا لا يعني عدم وجود فلاسفة ومفكرين آخرين مثل ابن جبرول في الفلسفة، وفي علم الكلام سعديا الفيومي، ولكن لا يرتقون إلى ما قدمه هاذان الفيلسوفان.